

ماذق العلوبيين كف وصلوا إلى عنق الزجاجة، وكيف يخرجون؟

الكاتب : طريف يوسف آغا

التاريخ : 7 يناير 2013 م

المشاهدات : 5038



لا أعتقد أن أي علوي في سورية أو الدول القريبة أو البعيدة اليوم يريد أن يعرف الناس أنه كذلك، ويعود السبب (الصورة) التي رسمها له نظام الأسد وسوقها في الداخل السوري وبقية العالم.

وهي كما أشرت في مقال سابق، (صورة) الشبيح صاحب العضلات المنفوخة الذي يشبه المنسخ أكثر مما يشبه الإنسان، والذي هو أيضاً في نفس الوقت ذا جمجمة أطفال ومت指控 نساء ولصوص ووصولى مؤمن بخرافات من وزن (الرب) يمكن أن يتمثل في بشر.

فكيف حصل كل هذا وهل ما زال بالإمكان إصلاحه؟

للإجابة عن الشق الأول من السؤال فأرى أن المأذق الحقيقي للطائفة (العلوية) يعود إلى جوهر عقيدتها من جهة والمكان الذي شهد ولادتها وكذلك الزمان من جهة ثانية.

وما أعنيه بجوهر عقيدتها هو إدعاء (ابن نصیر) أن (الرب) يمكن أن يتجسد في البشر وأنه قد تجسد فيه شخصياً، منشأ ذلك عن الطائفة (الشيعية) ومؤسسأً للطائفة (النصيرية) التي غيرت اسمها فيما بعد بناء على نصيحة (الانتداب الفرنسي) إلى الطائفة (العلوية).

خطورة هذا الادعاء أنه كان غير مسبوق في المجتمعات العربية أو المعروفة حينها، فقد ادعى البعض (النبي) قبله وبعده، أما (الألوهية) فلا شك أنه صاحب براءة اختراعها.

وهناك واحد من تفسيرين لا ثالث لهما وراء ادعاء الرجل ذلك.

الأول أنه كان فعلاً يصدق أن (الرب) قد تجسد فيه، وبالتالي فهو كان يعاني من مشكلة عقلية أو نفسية وبحاجة لعلاج. والثاني أنه فعل ذلك لتحقيق مكاسب شخصية وخاصة بعد إنكار (الشيعة) عليه منصب (الباب) الذي ادعاه لنفسه للتواصل مع الإمام (المهدي) لحين ظهوره.

لم يعد هاماً الآن ماذا كان الدافع وراء ادعاء الرجل للريوبية، فذلك صار في ذمة التاريخ، ولكن السؤال الهام هنا هو هل كان يعرف أن (ادعائه) هذا سيكون بمثابة (اللعنة) التي ستطارد أتباعه أينما ذهروا وإلى الأبد؟ وهنا نصل إلى العاملين الإضافيين اللذين جعلا من هذا (الادعاء) أكثر لعنة وخطورة على من اتبع (ابن نصير)، وهو عالي الزمان والمكان.

فلا في العراق، حيث نشأت الطائفة، ولا في أي دولة عربية، لا في القرن التاسع الميلادي وقت نشأت ولاقبته ولابعده، كان يمكن لطائفة بعقيدة كهذه أن تعيش بسلام.

والسبب أن هذه المجتمعات كانت ومازالت مجتمعات محافظة بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معنى، والديانات السماوية الثلاثة التي خرجت منها وتجدرت فيها، كلها وبكافة فرقها قامت على (التوحيد).

إذا وضعنا (أهل السنة) وحتى (الشيعة) جانباً، وأتينا إلى مسيحي أو يهودي عارفين بدينهم، وسألناهما ماذا يقولان في ربوبية (ابن نصير) ومن بعده (سليمان المرشد) وحديثاً (الأسدية)؟

أحد أصدقائي السوريين المسيحيين هنا في هيوستن، والذي اعتاد زيارة البلد كل عام قبل الثورة وكان يجهل موضوع (تأليه) الحاكم عند (العلويين)، قال لي مؤخراً بأنه بات يخاف زيارة سوريا مادام هذا النظام قائماً، لأن من يؤلهون البشر يمكن أن يرتكبوا أي حماقة ويجدوا لها مبرراً ضمن عقليتهم المختلفة المحدودة.

ما أريد أن أقوله هنا أن دعوة (ابن نصير) لو أنها تمت في بلد يتمتع بحرية المعتقدات، وأيضاً بالديمقراطية، كالدول الأوروبية أو أمريكا أو كندا أو استراليا اليوم، لما واجهت الرفض والتكفير منذ البداية.

ولakukan عليها أن تهرب من هنا وهناك لشعورها أنها مرفوضة، وبالتالي ما كانت لتشعر أن عليها عزل نفسها عن محيطها باللجوء إلى جبال عالية.

ففي الدول التي ذكرتها كأمثلة، تجد أصحاب كافة المعتقدات بمن فيهم عبدة الشيطان وعبدة النار، ولا أعتقد أن إضافة عبدة (البشر) لهم سيزيد أو ينقص من تلك المجتمعات طالما أن لا هؤلاء ولا أولئك ولغيرهم يخرقون القانون المدني المعمول به في ذلك البلد.

ومن يفعل ذلك فالقاضي في المحكمة سيكون بانتظار سماع أقواله، ولن يكون بجانبه سوى محاميه ولا المخابرات ولا غيرها ستكون قادرة أن تتوسط له.

بعد عامل (عقيدة تأليه البشر) وعامل (الزمان والمكان)، يبدو أن الحظ بقي واقفاً ضد العلوبيين.

وما أقصد هو أنه لو أتاهم بعد ذلك (قادة) حكماء استوعبوا خطورة ماضيعهم فيه (ابن نصير)، وأفتووا لأتباعهم بغير هذا، لكانوا بالتأكيد وجدوا ترحيباً بهم من محطيهم.

أو لو أنهم أخذوا أتباعهم إلى بلدان غير عربية كالصين أو الهند حيث تزدهر عقائد مشابهة لعقيدتهم من حيث عدم افتقارها للخلافات مثل الهندوسية والبوذية وغيرها، لربما أيضاً وجدوا مكاناً آمناً للعيش دون أن يلفتوا أنظار أحد أو يثيروا حفيظة أحد.

أو حتى بعد أن أتوا إلى سوريا ويفروا فيها، فلو أن (قادتهم) تمعوا بحكمة ونظرة بعيدة، ولم يحرضوهم على التعاون مع الغزاة مثل المغول والحملات الصليبية قديماً والفرنسيين حديثاً.

لو أنهم بدلاً من ذلك دفعوهم لمحاربة هؤلاء الغزاة مع بقية فئات الشعب، لكان الشعب السوري تقبلهم بين جنباته بالرغم من أغلبيته المحافظة.

لقد كان على (قادتهم) أن يقنعوا بأن سوريا أصبحت وطنهم ولا يمكن أن يعيشوا فيها دون أن يقفوا مع شعبها ضد أعدائها، فال أقلية في أي زمان ومكان هي من بحاجة لرضى الأكثري وليس العكس.

وكان كل هذه الأخطاء التاريخية (لقيادة) العلوبيين لم تكن كافية لهم، وبعد كل هذه النقاط التي خسروها في علاقتهم التاريخية مع الشعب، أتت عائلة (الأسد) وفعلت مافعلت، موجهة للطائفة الضربة التي قد تكون القاضية والتي أوصلتهااليوم إلى عنق الزجاجة.

هذه العائلة التي بدأها (الجد) بطلب الدولة العلوية من فرنسا عام 1936، ثم (الأب) بائع الجولان وحامي إسرائيل وبطل مجازر حماة وتدمير وغيرها، وطبعاً (الابن) الغني عن التعريف.

وبناء عليه، فمن يتوجب عليها حقاً إعدام عائلة (الأسد) كلها (أشه لفة) كما يقولون هي طائفتها نفسها وليس غيرها، كونها دمرت البلد باسمها واضعة لها أمام خطر الإفناه أو ربما التهجير في أحسن الأحوال.

وهذا يوصلنا إلى الإجابة على الشق الثاني من السؤال في عنوان المقال:
كيف تخرج الطائفة من عنق الزجاجة حيث هي الآن وتنصالح مع مجتمعها؟

يشتكي الكثير منهم اليوم بأن محاصرة النظام لهم ومعاقبتهم على معارضته هي أضعاف مايفعله مع معارضيه من (السنة).
أقول لهؤلاء أن لاينسوا ضحايا جرائم النظام حتى اليوم والتي بلغت مئات الآلاف من الشهداء والمفقودين والجرحى وملايين المهجرين.

وبالتالي فإن أمل (العلويين) الوحيد بنيل صفح الشعب السوري عما اقترفته نخبتهم في الماضي والحاضر هو الانخراط في الثورة مئة بالمئة وجعل التخلص من هذا السفاح وعائلته و مجرمي الحرب الذين يدعموه يتم على أيديهم هم قبل أن يتم على أيدي غيرهم، فيفقدون بذلك فرصة لاتعرض.

نعم سيدفعون ثمناً باهظاً، لكنه ثمن لم تبذل أغلبية الشعب السوري عن دفعه، وهم ليسوا أفضل من بقية الشعب.
ثمن سيكون، كما ذكرت، أفضل في كافة الأحوال وبكثير من ثمن الفناء أو التهجير الكامل.

سورية بعد انتصار الثورة ستكون سورية لجميع سكانها من كافة الأطياف، ولكن السؤال هنا هو من من هؤلاء السكان سيبقى ليحتفل بانتصار الثورة لاشترائه فيها أو دعمه لها؟ ومن سيكون قد أصبح من سكان المقابر أو السجون أو المنفى القسري ممن هتف له يوم أمس في خطابه السادس من دار الأوبرا في دمشق (شبيحة للأبد كرمال عيونك ياأسد).

أو حتى هؤلاء الذين صمتوا عنه لأنهم كانوا من المستفيدين، فالصمت كما يقولون هو (من علامات الرضى) في أغلب الأحيان.

المصادر: